

(٨١) سورة التكويد

فى رهاب الصورة الكريمة

سورة كريمة نزلت بمكة المكرمة بعد سورة المسد، وهى تسع وعشرون آية، تعالج أمرين هامين هما:

أولاً: يوم القيامة وما فيه من أهوال وشدائد تشمل، الشمس والنجوم والجبال والبحار والأرض والسماء والأنعام والوحوش كما تشمل الإنسان وتهز الكون هزا عنيفاً.

ثانياً: رغبة النبى ﷺ لينتقل البشر جميعاً من ظلمات الشرك والضلال إلى نور الإيمان والعلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ ۝
بِأَيِّ ذَنْبٍ قِيلَتْ ۝ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝
وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْضِرَتْ ۝)

معانى المفردات:

الشمس كُوِّرَتْ: أزيل نورها
الجبال سُيِّرَتْ: أزيلت من مواضعها
العشار عطلت: النوق الحوامل أهملت

الوحوش حُشِرَتْ: جمعت من كل صوب.
البحار سُجِّرَتْ: فجرت فصارت بحراً واحداً
النفوس زُوِّجَتْ: قرنت كل نفس بشكلها
السماء كُشِطَتْ: قلعت كما يقلع السقف
الجنة أَزْلِفَتْ: قُرِبَتْ وأُدنيت.

الآيات الكريمات بيان لأحوال يوم القيامة وما يكون فيها من الشدائد والكوارث وما يعترى الكون والوجود من مظاهر التغير والتخريب والمعنى: إذا الشمس أزيل ومُحِىَ ضوؤها ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴾ أى تساقطت من مواضعها وتناثرت، ﴿ وَإِذَا آَلِجَالُ سُيِّرَتْ ﴾ أى حُرِكت من أماكنها وسُيِّرَتْ فى الهواء حتى سارت كالهباء، ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ أى إذا النوق الحوامل تركت هملا بلا راع ولا طالب، وخصَّ النوق بالذكر لأنها كرائم أموال العرب^(١) ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ أى جمعت من أوكارها وأجحارها ذاهلة من شدة الفزع ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ أى تأججت نارا وصارت نيرانا تضطرم وتلتهب ﴿ وَإِذَا الْثُفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ أى قرنت بأشباهها فقرن الفاجر مع الفاجر، والصالح مع الصالح، قال الطبرى: يقرن بين الرجل الصالح مع الصالح فى الجنة وبين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار^(٢) ﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟ أى وإذا البنت التى دفنت وهى حية سئلت توبيخا لقاتلتها: ما هو ذنبها حتى قتلت؟. جاء فى التسهيل: الموءودة، هى البنت التى كان بعض العرب يدفنها حية من كراهمتها لها أو غيرته عليها، فتسأل يوم القيامة، "بأى ذنب قتلت"^(٣) وذلك على وجه التوبيخ لقاتلتها، ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُفِثَتْ ﴾ أى وإذا صحف الأعمال نشرت وبسطت للحساب ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴾ أى إذا السماء أزيلت ونزعت من مكانها كما ينزع الجلد عن الشاة ﴿ وَإِذَا الْجَبَبُوتُ سُفِرَتْ ﴾ أى وإذا نار جهنم أوقدت وأضرمت لأعداء الله تعالى ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ أى وإذا الجنة أذيت وقُرِبت من المتقين، ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخْصِرَتْ ﴾ أى علمت كل نفس ما أحضرت من خير أو شر، وهذه الجملة "علمت نفس" هى جواب ما تقدم من أول السورة.

(١) صفوة التفاسير للأستاذ محمد على الصابونى ص ١٦٨٩.

(٢) هذه رواية الطبرى عن عمر بن الخطاب وقيل المراد قرن الأجساد بالأرواح والأول أرجح والله أعلم.

(٣) التسهيل فى علوم التنزيل ١٨١/٤.

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ	إذا ظرف مستقبل يتضمن معنى الشرط، وجوابها فى الاثنى عشر موضعا التى وقعت فيها قوله: علمت نفس، وهى متعلقة بجوابها، الشمسُ نائب فاعل مرفوع مقدر يفسر ما بعده وإلى هذا رأى مال الزمخشري ومنع أن يرتفع بالابتداء لأن إذا تتقاضى الفعل لما فيها من معنى الشرط، ولكن ما منعه الزمخشري من وقوع المبتدأ بعدها أجازة الكوفيون والأخفش من البصريين، وجملة كُوِّرَتْ جملة فعلية مفسَّره لا محل لها.
وَإِذَا النُّجُومُ آنَكَدَتْ	عطف على ما تقدم ومماثلة لها فى الإعراب ولكن النجوم هنا فاعل بفعل يفسر قوله "أنكدت".
وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ	عطف أيضا والجبال والعشار نائبا فاعل بفعل محذوف.
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ	عطف أيضا على ما سبق.
وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ وَإِذَا النُّفُوسُ رُويَتْ	عطف أيضا على ما سبق.
وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُبِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ	عطف أيضا على ما سبق، بأى جار مجرور متعلقان بقتلت وذنوب مضاف إليه مجرور والجملة مفعول سئلت الثانى.

عطف على ما تقدم أيضاً.	وَإِذَا الصُّحُفُ نُفِثَتْ (١) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (٢) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ (٣) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ
الجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب إذا، وعلمت فعل ماض مبني ونفس فاعل، ما اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به، أَحْضَرَتْ فعل ماض والفاعل ضمير مستتر والجملة صلة الموصول لا محل لها.	عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ (١) الْجَوَارِ الْكُنُوسِ (٢) وَاللَّيْلِ إِذَا عَنَصَ (٣) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (٤) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٥) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٦) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٧) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٨) وَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْآلِينِ (٩) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَنَبِ بِضِينٍ (١٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١١) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (١٢) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (١٣) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَعِيمَ (١٤) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (١٥) ﴾

معاني المفردات:

الخُنُوس: الكواكب التي تختفي نهاراً	فلا أقسم: أقسم ولا مزيدة
الْكُنُوس: التي تغيب حين غروبها	الجواري: السيارات
تنفس: أضاء وتبلغ	عسمس: أقبل ظلامه، أو أدبر
ضنين: بخيل مُقَصِّر في تبليغه.	مكين: ذي مكانة رفيعة

التفسير:

يقسم الله عز وجل قسماً مؤكداً بالنجوم المضيئة التي تختفي بالنهار وتظهر بالليل^(١) ﴿ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴾ أي التي تجرى وتسير مع الشمس والقمر ثم تستتر وقت غروبها، كما تستتر الظباء في كناسها "مغاراتها" قال القرطبي: النجوم تخنس بالنور وتظهر بالليل، وتكنى وقت غروبها أي تستتر كما تكنس الظباء في الغار الكناس^(٢)

(١) هذا قول علي وابن عباس ومجاهد والحسن كذلك في الطبري ٤٨/٣٠.

(٢) القرطبي ٢٣٥/١٩.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أى أقسم بالليل إذا أقبل بظلامه حتى غطى الكون، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أى وبالصبح إذا أضاء وتبلج واتسع ضياؤه حتى صار نهارا واضحا ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أى هذا هو المقسم عليه أى إن هذا القرآن لكلام الله تعالى المنزل بواسطة ملك عزيز على الله هو جبريل كقوله تعالى "نزل به الروح الأمين على قلبك".

قال المفسرون: أراد بالرسول جبريل وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به، وهو فى الحقيقة قول الله تعالى، وما يدل على أن المراد به جبريل قوله بعده ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أى شديد القوة، صاحب مكانة رفيعة، ومنزلة سامية عند الله جل وعلا ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ أى هناك فى الملأ الأعلى، تطيعه الملائكة الأبرار، مؤتمن على الوحي الذى ينزل به على الأنبياء ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ أى وليس محمد الذى صاحبتموه يا معشر قريش، وعرفتم صدقه ونزاهته ورجاحة عقله لمجنون كما يزعم أهل مكة، فنفى تعالى عنه الجنون، وكون القرآن من عند نفسه، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْإِنِّي﴾ أى وأقسم لقد رأى محمد ﷺ جبريل فى صورته الملكية التى خلقه الله عليها بجهة الأفق الأعلى البين من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس قال فى البحر: وهذه الرواية بعد أمر غار حراء حين رأى جبريل على كرسى بين السماء والأرض فى صورة له ستمائة جناح قد سدَّ بين المشرق والمغرب^(١) ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضِيقٍ﴾ أى وما محمد على الوحي ببخيل يُقَصِّرُ فى تبليغه وتعليمه، بل يُبَلِّغُ رسالة ربه بكل أمانة وصدق ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ أى وما هذا القرآن بقول شيطان ملعون كما يقول المشركون ﴿فَلْيَنزِلْهُمْ تَذْهَبُونَ﴾ أى فأى طريق تسلكون فى تكذيبكم للقرآن، واتهامكم له بالسحر والكهانة والشعر مع وضوح آياته وسطوع براهينه؟ وهذا كما تقول لمن ترك الطريق المستقيم: هذا الطريق الواضح فأين تذهبون؟ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ أى ما هذا القرآن إلا موعظة وتذكرة للخلق أجمعين، ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ أى لمن شاء منكم أن يتبع الحق، ويستقيم على شريعة الله ويسلك طريق الأبرار ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ أى وما تقدرون على شيء إلا بتوفيق الله ولطفه فاطلب من الله التوفيق إلى أفضل طريق.

(١) البحر المحيط ٤٣٤/٨.

فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ	الفاء استئنافية، لا حرف نفى لتأكيد القسم، أقسم مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا، بالخنس جار ومجرور متعلقان بأقسم.
الْجَوَارِ الْكُنْسِ	الجواري نعت أو بدل، الكنس نعت للجواري.
وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ⑤ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ	الواو للقسم، الليل مقسم به مجرور والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره أقسم، إذا ظرف متعلق بفعل القسم وجملة عسس في محل جر بإضافة الظرف إليها، والصبح عطف على الجملة السابقة وإنما لم يعطف الليل على الخنس لأن الواو واو الابتداء، وسيبويه لا يرى الواو المنفية للقسم ابتداء قسم بل عاطفة، إذا تنفس نفس إعراب إذا عسس.
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ	إنه إن واسمها، اللام للتوكيد، قول خبر إن مرفوع، رسول مضاف إليه مجرور، وكريم نعت مجرور.
ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ	ذی نعت ثان مجرور بالياء، قوة مضاف إليه مجرور، عند ظرف، ذی مضاف إليه، العرش مضاف وشبه الجملة في محل نصب حال، مكين صف ثالثة.
مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ	مطاع صفة رابعة، ثم ظرف بمعنى هناك متعلق بمطاع، وأمين صفة خامسة.
وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ	الواو عاطفة، وما نافية حجازية، وصاحبكم اسمها، والباء حرف جر زائد، ومجنون مجرور لفظا منصوب محلا على أنه خبر ما والجملة معطوفة على ما سبق.

وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْبَيْنِ	الجملة معطوفة أيضا على ما تقدم، اللام جواب القسم المحذوف، وقد حرف تحقيق، رآه فعل ماض والهاء فى محل نصب مفعول به والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الرسول ﷺ، بالأفق جار ومجرور متعلقان برآه والمبين نعت مجرور.
وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ	الواو عاطفة، ما نافية حجازية، هو ضمير مبنى فى محل رفع اسمها، على الغيب جار ومجرور متعلقان بضنين، بضنين مجرور لفظا منصوب محلا خبر ما الحجازية.
وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ	الجملة معطوفة على ما سبق وينفس الإعراب السابق.
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ	الفاء عاطفة، أين اسم استفهام فى محل نصب ظرف مكان متعلق بتذهبون، تذهبون مضارع مرفوع بثبوت النون.
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ	إن نافية، هو ضمير فى محل رفع مبتدأ، إلا أداة حصر، ذكّر خبر، للعالمين جار ومجرور متعلقان بذكر أو نعت له، ولن بدل من قوله للعالمين بإعادة العامل وهو اللام وجملة شاء لا محل لها لأنها صلة من، منكم فى محل نصب حال، وأن وما فى حيزها مفعول به لشاء.
وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ	الواو عاطفة، ما نافية، تشاءون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل، إلا أداة حصر، وأن وما بعدها فى موضع نصب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بتشاءون، الله فاعل ورب بدل أو نعت لله، والعالمين مضاف إليه مجرور، واختار البيضاوى نصب المصدر المؤول على الظرفية وعبارته: ما تشاءون الاستقامة يا من تشاءونها إلا أن يشاء الله، أى إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم ^(١) .

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه لمعى الدين الدرويش ص ٣٩٧ المجلد العاشر.

لقد حفلت السورة الكريمة ببعض الصور البيانية نذكر منها:
الاستعارة التصريحية: فى قوله تعالى: "والصبح إذا تنفس" حيث شبه فيها النهار وسطوع الضياء بنسمات الهواء العليل التى تحمى القلب واستعارة التنفس لإقبال النهار بعد الظلام الشديد وهذا من لطيف الاستعارة وأبلغها حيث عبّر عنه بتنفس الصبح.

- الكناية فى قوله تعالى: وما صاحبكم بمجنون حيث كنى عن النبى ﷺ بلفظ صاحبكم.
- الطباق بين "الجحيم والجنة".
- الجناس فى قوله تعالى "بالحنس.... الكُنس" وهو جناس ناقص كذلك بين "مكين... أمين".
- السجع الجميل على رءوس الآيات وهو سجع غير متكلف.

